د. فاطمة عبد المحمود وزير الدولة لمجلس الشعب السوداني

د. فاطمة عبد المحمود

«المرأة السودانية وأرض البطولات»

obeikandl.com

أديبة سودانية، ووزيرة للشئون الاجتماعية سابقاً، ومع قلمها الأدبي.. وفكرها الاجتماعي.. فإن دراستها طبية، فهي طبيبة بوزارة الصحة. نالت دبلوم الطب من جامعة موسكو، وماجيستير صحة عامة من معهد الدراسات الطبية العليا، ودبلوم ترجمة لغة إنكليزية ولغة روسية.

- هي عضو مجلس الشعب، وعضو اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي السوداني سابقاً، الأمينة العامة لاتحاد نساء السودان.

ومن كتابها... «المرأة السودانية وأرض البطولات» تقول:

إن هناك نساء لعبن دورهن في تحريك عجلة التاريخ في بسالة وشجاعة - هي أقرب إلى الأساطير، وتاريخ السودان في مطلع هذا القرن - يقف شاهداً على نضال:

١ - أم كلثوم بنت لبيجا.

٢ - بنت المكاوي.

٣ - الحاجّة ست البنات.

٤ - الحاجّة بلولية.

٥ - الحاجّة بنت مسيمس.

٦ ـ شفيقة.

٧ ـ مهيرة بنت عبود.

بل إن المعركة الوطنية السودانية من بعد العقد الثاني لهذا القرن، تقف هي الأخرى شاهداً على نغمات أمثولة.. فكانت المرأة السودانية تبحث، وتتأمل، وتشارك، وتبعث، وتساهم لكيلا تمشي حوافر خيل الأعداء على مقدسات شعبنا وأرضه.. وترابه.. وتراثه.

وبمجيء ثورة الخامس والعشرين من مايو سنة ١٩٦٩م اتخذت بطولة المرأة السودانية.. منعرجاً أحاطته أبعاد.. منها:

ـ المرأة إنسان.. أولاً وقبل كل شيء.

ـ الإنسان في المرأة هو الذي يضعها ـ ويضع معها تاريخ السودان الحديث، وليس العكس.

ـ البطل في المرأة.. هو العمل في المرأة. هو. المشاركة، هو الممارسة، هو الوعي، هو الارتباط المماثل لارتباط الرجل بالولاء القومي.. والحسي.

ـ إن المرأة بعد معارك ضارية في الساحات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية، قد حصدت بفضل ثورة الخامس والعشرين من مايو ٦٩ ثمار العرق الذي انثال منها، والجهد والبذل، والعطاء الذي وهبته باسم القضية.. وفي سبيل القضية.

وإذا كان التاريخ يذكر عظماء الرجال، فهو لا يغفل أحياناً أن يذكر عظيمات النساء. ولكن عظمة بعض النساء.. أحياناً تظل فاعلة وأسطورية، ولكنها حبيبة في ذات الوقت، تغطيها غيمات من السماحة في الطبع، والبساطة في السلوك والحركة التي تهمس ولا تصيح، إذا كان التاريخ يهب القدرة والمعجزة لمن يحمل عبئه.. وأمانته، فهنالك من الأبطال الرجال من وهبهم التاريخ هذه القدرة.

د. فاطمة عبد المحمود تتحدث إلى د. سهير القلماوي والسيدة عزيزة مكي عن المؤتمر

د. فاطمة عبد المحمود والأديبة لوسي يعقوب

ومن البطلات النساء من نلن نفس القدرة المعجزة لحمل أمانة التاريخ.. بالصمت أحياناً، والتلويح أحايين أخرى. ولعل الفعل الصامت أكثر فاعليةً.. وعمقاً، لأنه يتسم أحياناً بالحلم، وأحياناً بالتأمل ودوماً بالرؤى الصافية.. البعيدة المدى.

ويستمر هذا القلم الأدبي.. قلم كاتب متمرس بنفحة أدب، وشاعرية أسلوب، في الدفاع عن المرأة.. وعن كيانها كأنثى.

«الوعي هنا يلعب دوراً هائلاً ـ الوعي الثوري المرتبط بالأرض والتراث، لا ذلك الذي نستورده ولا نقتنيه من حضارات الغير، التي أنبتت من تراب وتراث هو غير ترابنا وتراثنا.

إن الثورة، في مفهومها الحضاري.. والأكاديمي، تغيير جذري لأسس المجتمع وعلاقاته القديمة، يدخل فيها الرجل والمرأة والابن.. وما حولهم.. وما يتأثرون به.. ليس هذا فحسب، بل إن المرأة في حالات الزواج.. تخضع لميزان الربح والخسارة.. نتيجة للعادات البالية. ومن يدفع أكثر.. تنطلق له الزغاريد تشق عنان السماء، تتغنى بكرم الرجل.. وفحولة الرجل، وكأن الفتيات خراف.. يرتفع سعرها لنوعها.. وبنوع البرسيم الذي كانت تتغذى به.

هل هناك قانون يحد من غلاء المهور؟

وهل القانون كل شيء؟

المسألة هنا.. مسألة ترتبط بعاملين اثنين:

ـ بنظرة الرجل للمرأة بوصفها إنسانة.. لا إحدى السوائم.

ـ بدراسة أبعاد المسألة من جانبها الأخلاقي والاجتماعي.

ولا يتسنى لنا ذلك.. إلاّ بتنوير المجتمع، وبالوعي، وفارق السن يدخل في الإطار نفسه.

فكهل الستين.. قد يتزوج ابنة العشرين.. أو أقل، وهي جريمة يتحتم فيها وضع قانون صارم:

ـ وضع حد لاستهتار يحيق بالفتيات القصَّر.. لأنهن قصَّر.

ـ وضع حد لسلطة الأب الذي يبتاع المال ـ بالإنسان، وربما الحب والنسب بالإنسان.

ـ إشعار المرأة.. أن المجتمع لها ومنها، وبسبيلها ومن أجلها والوعي هنا.. أمرٌ ضروري.

إن قضية حجر المرأة، بنفس العقلية التي تزوجت بها، أضحت مزاجاً حزباً يمارس في بعض من بقاع بلادنا، وهي قضية تعززها رواسب تجيء أصلاً من توهم الرجل:

«إنه السيد والحارس.. والسجّان.. ولكن.. مع الأسف.. فالقاضي عدوها، والمتفرجون متحيزون بطبعهم.. وهم جزء من القضية».

وهي مسألة تبعث هي الأخرى.. على الرثاء، لو كان الهجر هو وحده الأزمة لاستبشرنا خيراً.. ولكن الهجر الأكبر هو الطلاق.

إن تقييد الطلاق أمر بالغ الأهمية. ولا بد ـ قبله ـ من عوامل تتيح للزوجين جواً من التأمل والتفكير والدراسة.

إن تعدد الزوجات يشكل خطراً على الأسرة، وهو في الأصل ينبع من توتر معين يفرضه الرجل على نفسه في غير حالات الصفاء.

هنا الوعي يلعب دوره.. ذلك الوعي الذي ينبت إنساناً يتعاطف أولاً، ويحنو ثانياً، ويحب في النهاية من هذا التعاطف والحنين.

لقد تصدر كتاب «المرأة السودانية وأرض البطولات».. بتحية من الرئيس جعفر محمد نميري ـ رئيس جمهورية السودان سابقاً ـ بكلمات حية نابضة بالأمل المشرق للمرأة السودانية.. إذ يقول:

ـ إن مجتمعاً لا تباشر فيه المرأة دورها كاملاً، أسوة بالرجل، في عملية التغيير الحضاري.. مجتمع ميت.

ـ إن معركة المرأة اليوم.. تتبلور في تركيز دعائم حاضرها المشرق، ومستقبلها الواعد، في مواجهة كل تيارات الماضي.. وخيالاته.. وادعائه.

ـ إن المؤلفة.. قد تناولت في جانب من كتابها: دقائق تلك الظروف.. وملابساتها، والتي أبعدت المرأة عن مواكبة الرجل بقدر ملحوظ في نضاله من أجل حياة أفضل، أساسها.. الكفاية والعدل.. وغايتها الحرية والسلام.

نحن نؤمن أن خلق القيادات النسوية المؤهلة.. هي القادرة حقاً على تفهم مشاكل بنات جنسها وإرشادهن، وقيادتهن وفق المفاهيم العصرية.. وأساليبها نحو ما يتطلعن إليه، على أن يتم التزاوج بين هذا العمل، ومشاركة جهاز الدولة السياسي في وضع الخطط والحلول التي ترفع من قدر المرأة، كإنسان، وتوجيه طاقاتها لبناء أسرتها الصغيرة ومجتمعها الكبير.

إن المرأة في السودان.. كانت تتحسس دربها، لتبحث عن مشارف مضيئة.. وآفاق تطل بها على الحياة، وهي تتغنى بالأدب.. وبالشعر، وتنادي بالقومية ـ تتغنى مع الرجل ـ مشاركة منها ـ في بناء السودان.. وتاريخه العريق.

وتتغنى شاعرة سودانية بشعر.. يعطي صورة للمرأة السودانية الجديدة.. في ظل الوعي والمفهوم الثوري الجديد.

إنها الشاعرة «أسماء بنت الشمالية».

تهدي ديوانها.. «مولد قلب».

«إلى كل الابتسامات الوليدة».

من قصيدتها «بلدتي الشمال»:

مواكب المغيب..

تلوح.. في الظلال..

والمشهد الحبيب..

في بلدتي هناك في الشمال..

أطياف ذكريات..

في قلبي الوفي عاطرات..

في ليلنا الطويل..

سبائط النخيل..

تحيط بالربوع توقد الشموع..

هناك في الشمال..

وفي «تحية وشوق»:

كلما غناك فجر يا بلادي..

كلما طاف خيال بفؤادي..

هل في الآفاق ميلادٌ لحبي؟..

أمنيات رفرفت تفتح دربي..

للأغاريد الشجية..

فجرتها الوطنية..

عاد بي شوقي إليك..

أنت يا حرة في أرض الجزائر..

من بلادي العربية..

الانتصارات تجلت من عذابك..

لنشيد من شبابك..

لتباشير تغني فوق بابك..

obeikandl.com

عاد بي شوقي إليك..

لظلال النور يا أخت كفاحي..

لسماء ملؤها رف جناحي..

ههنا في كل شبر من بلادي..

يتغنى المجد يا سمراء في ظل بقائي..

من هذه الأغاريد الوطنية، يتجلى عشق المرأة السودانية لأرضها، وبلدها، ووطنها. هي المرأة السودانية.. وأرض البطولات.. أيضاً في أدبها.. وفي شعرها.. تغنى للنصر:

يا أرضي سيعود النصر..

كل الأمجاد وكل الفخر..

شعبي الحر تذوب جراحه..

والشعر سلاحه..

يبني الآمال قباباً..

والفرحة تطرق أبواباً..

الخلد يطل على سينا والجولان..

وعلى القدس العربية..

وترفرف ألوية الحرية..

في الأرض العربية..

وبكل مكان من أرض الإنسان..

والإنسانية..

يا إخواني يا مشعل الحرية..

* * *

الأدب.. والشعر
والمرأة السودانية

في إطار التكامل.. بين وادي النيل.. يلعب الأدب والشعر السوداني دوراً بارزاً في أنشطة المرأة السودانية، فكل نساء السودان.. يمثلن المشاعر والأهازيج الفياضة.. التي يجيش بها كل نساء الوادي. فالمرأة المصرية والمرأة السودانية تشتركان في وحدة متكاملة.. من هذه المشاعر والأحاسيس. وقد تم أخيراً اختيار الأستاذة الدكتورة فاطمة عبد المحمود.. كعضو رائد في برلمان التكامل. وهي تمثل، بحق، المرأة السودانية الجديدة في تجدد فكرها.. ومشاعرها.. وصدق انتمائها للوادي.

والدكتورة فاطمة عبد المحمود هي:

- عضو الاتحاد الدولي للإعلام والاتصال الجماهيري للجمعيات والأديبات عن السودان.

وزير الدولة لشئون مجلس الشعب السوداني - ورئيس المجلس السوداني القومي - وأمين عام اتحاد نساء السودان وحائزة على ميدالية الأمم المتحدة لعام المرأة العالمي - ورئيس اللجنة القومية لعام الطفل - وهي بجانب كل هذا كاتبة. أصدرت العديد من المؤلفات والدراسات التي تشمل الشئون العامة في الدولة، والمرأة والطفل، فهي طبيبة أطفال قبل كل شيء -

obeikandl.com

شاعرات السودان الشقيق المبدعات

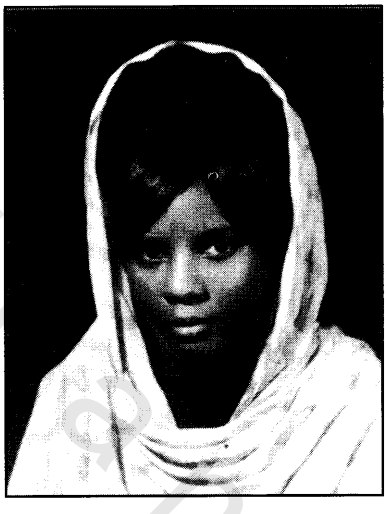

فاطمة القاسم شدّاد

أسماء بنت الشمالية

زينب الفاتح

وشغلت لعدة أعوام منصب وزير الشئون الاجتماعية ـ ووزير الصحة ـ وقد حازت في هذا العام على دكتوراه في طب الأطفال من جامعة كولومبيا الأميركية بنيويورك ـ وماجستير في العلوم والأمومة والطفولة، وقضايا السكان هذا بجانب الأنشطة الاجتماعية واختيارها.. عضواً رائداً في برلمان التكامل.

وقد لا يعرف الكثيرون.. طبيعة المرأة السودانية، وسوف أركز هنا على نوعية مضيئة من نساء السودان.. ومن صاحبات الأقلام، فقد برزت شخصيات أدبية عديدة من بينهن.. أذكر الشاعرة.. «أسماء بنت الشمالية» ولها عدة دواوين ـ أبرزها ديوانها «مولد قلب». وزينب الفاتح البدوي.. والأديبة فاطمة القاسم شداد، وهي معيدة بالجامعة الإسلامية ولها عدة مؤلفات أدبية.. نذكر منها «الناصر قريب الله.. حياته وشعره» وكتابها أعراس ومأتم ـ وغيرهن كثيرات. ومن أبرزهن قلم الدكتورة فاطمة عبد المحمود وكتابها «المرأة السودانية.. وأرض البطولات».

الأصالة القومية

ومن الملاحظ.. عشق المرأة السودانية العميق الجذور الوطني، وهذا ما يجعلها تتفانى فيه عاطفة.. وشعراً ممتزجاً.

عاطفتها الإنسانية الفياضة بمشاعرها الوطنية، فيخرج شعرها منساباً يشتعل بالحب والتضحية، وهذا ما يتجلى لنا في شعر «أسماء بنت الشمالية».

حين تقول:

كلما غناك فجر.. يا بلادي..

كلما طاف.. خيال.. بفؤادي..

هل في الآفاق.. ميلاد لحبي..؟

أمنيات رفرفت تفتح دربي..

للأغاريد الشجية..

فجرتها الوطنية..

عاد بي شوقي إليك..

أنت يا حرة في أرض الجزائر..

من بلادي العربية..

الانتصارات تجلت من عذابك..

لنشيد من شبابك..

لتباشير تغني فوق بابك..

عاد بي شوقي إليك..

لظلال النور يا أخت كفاحي..

لسماء.. ملؤها رف.. جناحي..

ههنا.. في كل شبر من بلادي..

يتغنى المجد يا سمراء في ظل بقائي..

فالمرأة السودانية.. قبل أن تكون مناضلة.. وطنية. وقبل أن تكون هي المرأة.. التي بذلت.. وتبذل الجهد والعطاء.. الذي وهبته باسم القضية، وفي سبيل القضية هي المرأة الفنانة، المرهفة الحس والأديبة الشاعرة التي تنطق كلماتها بمفهومين في آن واحد.. السياسة.. والأدب.. وحب الوطن وحب الإنسانية ـ العاطفة والمشاعر كلها متمازجة يتداخل بعضها في بعض.

وقد تجلى هذا المزج في كتب الدكتورة فاطمة عبد المحمود: «المرأة السودانية وأرض البطولات». فهي أديبة أولاً وأخيراً، وقبل أن تكون طبيبة ووزيرة ومناضلة سياسية.

obeikandl.com

وفي كتابها هذا.. يبرز لنا قلمها الأدبي، وفكرها الاجتماعي، فهي تقول: «إن هناك نساء لعبن دورهن في تحريك عجلة التاريخ.. في بسالة.. وشجاعة.. هي أقرب إلى الأساطير، وتاريخ السودان في مطلع هذا القرن.. وما قبل مطلع القرن، يقف شاهداً على نضال المرأة السودانية.. مثل:

- أم كلثوم بنت البجا.
- بنت المكاوي.
- الحاجّة ست البنات.
- الحاجّة بلولية.
- الحاجّة بنت مسيمس.
- شفيقة الشاعرة.
- مهرة بنت عبود.

وقد شاركت المرأة السودانية في كل المجالات.. السياسية والوطنية والوجدانية.

فكانت تتسلل إلى معسكرات الأعداء، تلتقط الأخبار.. لتنقلها إلى الثوار المهدويين، وإبلاغ أتباع المهدي.. بخبر تلك البواخر المحملة بالأسلحة، والتي كانت ترد لإنقاذ طابية أم درمان.

ويسجل التاريخ دور المرأة السودانية ومقدرتها الفائقة التي تجلت من خلال المعارك السياسية التي كانت دائرة آنذاك، سواء كان ذلك بالشعر أو بالتغني بالشجاعة والحماسة.. أو هجاء المتقاعسين، أو بالمشاركة الفعلية في المعارك التي كان يخوضها الرجل ضد الغزوات الأجنبية ومنهن:

- مهرة بنت عبود.. التي لعبت دوراً كبيراً في عهد الفتح التركي، فكانت تقرض شعر الحماسة والوطنية، دافعة بالمد الثوري إلى قمم شاهقة، حققت فيها الكثير من الانتصارات.

أيضاً يذكر التاريخ:

- بنت المكاوي.. التي عاشت أغلب حياتها بالحس القومي المناضل - والمشارك في الدفاع عن الوطن بالأسلوب الذي كان متاحاً للمرأة في ذلك الوقت.

فقد عاصرت المهدية.. وشاركت في تلك الحركة.. بإلهاب الحماس للمحاربين، ودفعهم إلى ساحات الوغى.. وتحريضهم على حرب الأتراك وطردهم من البلاد، ومن غير استغلالهم لخيرات السودان. ويذكر لها التاريخ - قصيدة وطنية رائعة.. قالتها في مسيرة إحدى تلك المعارك.. قالت فيها:

طبل العز ضرب هويته

في البرزة غير طبل أم كيان

أنا ما بشوف إن طال الوبر واسية بالجزة

إن ما عم نيل ما فرخت وزة

من مثل هذه الأبيات.. وغيرها.. ما كان له أبلغ الأثر وأعمقه.. في دفع الحركة الوطنية إلى الأمام، ومن الملاحظ أن دور المرأة السياسي، حينئذ، اعتمد أساساً على هذا الضرب من قوة الدفع، تماماً كما كان يحدث للمرأة العربية في حروب.. «صدر الإسلام» وما بعد صدر الإسلام، ويبدو أن لدخول العرب السودان.. كان له التأثير المباشر في ذلك الحين.

والمرأة السودانية.. أديبة بطبعها.. وطبيعتها، فقد مزجت العلم بالأدب والسياسة بالأدب.. والاجتماع بالأدب، فخرج كفاحها الثوري منغّماً بأريج عطرها الغني. فكل نساء السودان المناضلات.. هن أديبات وشاعرات.. نذكر منهن كما ذكرنا قبلاً.. زينب الفاتح البدوي، فبجانب عملها الغزير.. فإن لها نشاطاً إعلاميّاً في كل الصحف والمجلات السودانية، ونشرها لمقالات أدبية.. واجتماعية باللغتين العربية والإنجليزية

وعملت كمحررة دائمة لصفحة الأدب بجريدة الأمة، وصفحة المرأة بجريدة النيل، والثورة وقدمت أعمالاً بالإذاعة منذ عام ١٩٥٤م.. واشتركت في تقديم ركن المرأة بالتلفزيون.

ونذكر أيضاً الأديبة فاطمة القاسم شداد ـ وكما سبق وقلنا ـ لها العديد من المؤلفات وعرفت باهتمامها بالنقد وبالدراسات السودانية ـ وغيرهن كثيرات من نساء السودان المكافحات.

ومن هذه الأغاريد الوطنية يتجلى عشق المرأة السودانية لأخيها وبلدها.. ووطنها.. هي المرأة السودانية.. وأرض البطولات أيضاً، في أدبها وفي شعرها.. تتغنى لأحداث وطنها.. ثم تتغنى للنصر:

يا أرضي.. سيعود النصر..
كل الأمجاد.. وكل الفخر..
شعبي الحر.. تذوب جراحه..
والشعر سلاحه..
يبني الآمال قباباً..
والفرحة تطرق أبواباً..
الخلد يطل على سيناء والجولان..
وعلى القدس العربية..
وترفرف ألوية الحرية..
في الأرض العربية..
وكل مكان من أرض الإنسان والإنسانية..
يا إخواني يا مشعال الحرية..
تحية للمرأة السودانية في نضالها وفي أدبها وفي شعرها.

* * *